ما الذى حقا يمنعنى أن أتزوج؟ قفز السؤال إلى رأسى لحظة دخولى البيت الفارغ. خمس سنوات الآن وأنا أتردد فى الزواج. ابنتى تزوجت، وابنى يحبنى، لكنه شأن كل الأولاد سيتركنى، وسيحدث ذلك قريبا، فهذا هو عامه الأخير بالجامعة. كما أن زيارات ابنتى لى قليلة مهما كثرت، ولن يرعى شئونى غير امرأة، فما الذى يجعلنى حقا لا أتزوج؟ لا يمكن أن تكون قصة الحب العارضة ونهايتها الفاشلة سببا فى ذلك، فأنا كما قال حسن بالضبط، اعتبرتها جسرا عبر بى من حالة اليأس الشامل بعد وفاة زوجتى، إلى الحياة الطبيعية. اقتنعت مرغماً أن امرأة تقابلها بعد عشرين سنة لا يمكن أن تكون كما كانت، رغم أننى حين قابلتها بعد عام من افتراقنا لم أرها على غير ما كانت منذ عشرين سنة. اختلقت لها كل الأعذار الممكنة. خوفها أن أفيق من الحب الطائش على حقيقة الزمن. خوفها من الزواج بعد أن فشلت حياتها السابقة مع زوجها. و كيف رتبت حياتها لولديها طوال السنوات العشر التى مضت منذ طلاقها. لم أأسف على دموعى التى حاولت إخفاءها يوم افترقنا. كانت بذور النهاية كامنة فى قلب القصة. قلت لنفسى ذلك واحتفظت لها بمكان جميل فى روحى وانتهى الأمر. . ليس ذلك

إذن، وعن يقين، سبب عدم زواجى، كذلك ليس كونى على مشارف الستين سببا كافيا، فهناك الآن فى البلاد عدد كبير من الأرامل ومن العوانس لم يتوفر فى أى عهد. كثيرات منهن يعلن عن أنفسهن فى بريد الصحف وعلى الإنترنت، ويذهبن بأنفسهن إلى المساجد التى صار جزءا من عملها تزويجهن، وهن يرضين أن يتزوجن حتى على ضرائر، فما بالك بشخص مثلى وحيد وميسور ويسكن فى شقة واسعة تحتاج إلى مبلغ بسيط لتجديدها. حقا لم أقم بتجديدها منذ ماتت زوجتى، وكونها هى التى كانت تفعل ذلك كل صيف، لا يجب أن يمنعنى أن أفعله. لقد فكرت فى البداية، بعد موت زوجتى مباشرة، أن أترك الشقة، ولما اقتربت من تحقيق ذلك أنفقت كل ما معى فى تزويج ابنتى. أجل. هذا هو السبب فى أننى تأخرت فى تجديد الشقة ولا شىء آخر. لكنى أستطيع أن أفعل ذلك الصيف القادم. لابد. أما الآن، فكما يحدث كل ليلة سأتخلص من فكرة الزواج، سأدخل إلى غرفة مكتبى، وأتطلع إلى الكتب التى لم أعد قادرا على قراءتها. . كل ليلة أدرك أننى لم أعد قادرا على القراءة، أو المواظبة عليها، ولا يضايقنى ذلك، لكنى لا أكف عن شراء الكتب، لعلنى أشتريها الآن أكثر من ذى قبل. بالكتب والقراءة تميزت بين زملائى وجيرانى والموظفين الذين أرأسهم فى العمل. الآن يعرف هؤلاء جميعا أشياء كثيرة عن الدنيا من التليفزيون، أكثرهم يمكلون أطباقا هوائية تنقل إليهم كل شىء، بل يتميزون عنى أنهم يتابعون البرامج العلمية والطبية وغرائب المخلوقات. أنا لا أتابع إلا نشرات الأخبار. أظل أتابعها من

محطة فضائية إلى أخرى، بالعربية والإنجليزية، وأحيانا بالفرنسية القليلة التى أعرفها، حتى أكتئب. . أفكر أننى لم أعد قادرا على تحمل كل هذه الكوارث التى تحدث فى العالم من حولى، أقرر أن أنقطع عن متابعة النشرات ثم أعود إليها بعد أن أتخلص من الاكتئاب، الذى عادة يستمر ليومين، بقرصين من حبوب الموتيفال المهدئة. أنام مبكرا وأنهض منشرح البال، يكون حسن قد فعل الشىء نفسه، دائما يخبرنى بذلك، لكنه لا يكتئب بسرعة مثلى، لأنه إلى جانب نشرات الأخبار مولع ببرامج الطب البديل، والعلاج بالنباتات، ويرى أن الآفاق مفتوحة للإنسانية كى تكون أكثر صحة وعافية، وأنه سيأتى يوم يتخلص فيه الناس من الأدوية الكيمائية تماما، بل سيكون العلاج بالتمارين الرياضية، مجرد تمارين لأصابع اليدين والقدمين. تعجبنى أفكار حسن وثقته فى تقدم البشرية، لكنه دائما يختم حديثه متأثرا لأننا لن نعيش حتى نرى ذلك اليوم، وسيتأسف علينا الناس، وعلى الذين ماتو قبل أن يستمتعوا أو يستفيدوا بهذا التقدم، ثم يضحك حسن ويقول «كما نتأسف نحن على الذين عاشوا فى العصر المظلم قبل اكتشاف الكهرباء». نضحك ويستمر حسن فى الكلام. «أجل» هكذا يقول، «يمكن أن تدرك ذلك حين تنقطع الكهرباء. ألا تنقطع عندك؟».

ـ تنقطع.

أجيب فيسأل:

ـ ألا يكون الظلام ثقيلا جدا؟

ـ يكون.

ـ وفى اللحظة التى تنهض فيها لإشعال شمعة ألا تدرك أن الظلام شىء صعب وقاس؟

ـ طبعا، خاصة حين لا أجد الشمعة مكانها.

ـ لذلك أنا لا أصدق كتب التاريخ وما تتحدث فيه من حوادث جرت فى الدنيا. كيف حقا يتم الترتيب لكل هذه الحروب فى الظلام؟

نضحك ويواصل حسن:

ـ صدقنى التاريخ مغشوش

* * *

لابد أن حسن وصل إلى البيت الآن، سيطلبنى فى التليفون بعد قليل يطمئن على وصولى سالما. كل مرة نفترق يطلب كلانا من الآخر أن يفعل ذلك، لكن كالعادة أبدأ أنا فأطلب حسن وأجد الخط مشغولا كما حدث الآن. لقد دخل حسن إلى شبكة الإنترنت ولن يطلبنى إلا بعد ثلاث ساعات، فى الثانية أو الثالثة صباحا، خاصة أن أحدا منا لن يذهب إلى العمل غدا. فكرة حسن فى الغياب بسيطة جدا، وهى أن الأصل فى العمل أن تتقدم البلاد، إننا نعمل منذ أكثر من ثلاثين سنة ولم تتقدم البلاد. سكان القاهرة مثلا لم يكونوا منذ ثلاثين سنة بهذه الكثرة، ولا بهذا الفقر الواضح فى ملابسهم ولون بشراتهم، ولم يكن

الناس متجهمين على هذا النحو الذى هم عليه الآن، حتى الأطفال كانوا أكثر مرحا. إذن لا معنى للعمل، لذلك يترك حسن الموظفين الذين تحت رئاسته يتغيبون. «ألا تفعل ذلك؟» سألنى مرة، وأدركت حين فكرت أجيبه أننى فى الحقيقة لا أعرف ماإذا كانوا يذهبون إلى العمل أم لا. أنا فى الحقيقة أيضا لا أعرف الذين أرأسهم، كلما حفظت أسماءهم نسيتها، هذا يسبب لى كثيرا من الإحراج، لأن معظمهم من السيدات، وإن تخطئ فى اسم امرأة أمر مخجل، خصوصا إذا كانت عانسا، وعندى فى الإدارة التى أديرها عدد كبير من العوانس، تضع كل منهن فوق مكتبها هرما ورقيا مكتوبا على واجهته الأمامية «love» وأنا لا أعرف لمن يتوجهن بهذا الحب، فالرجال زملاؤهم متزوجون، والشباب رغم أنهم لا أمل لهم فى الزواج لا يفكرون فيهن، ففارق السن بينهم كبير، إذ تخطت كل منهن الأربعين بينما الشباب فى العشرينات من العمر. بالطبع لا يمكن أن تكون كل هذه الأهرامات الورقية من أجلى أنا الوحيد القابل للزواج. .

كنت منذ قليل قد خلعت ملابسى وارتديت ملابس النوم، أكلت قليلا من الجبن القريش مع قطعة صغيرة من العيش السن. دخلت تحت غطاء السرير ورحت أتابع التليفزيون.

كنت حريصا أن لا تفوتنى الساعة الحادية عشرة لأتابع فيلم عربة اسمها الرغبة. كثيرا ما لا أنتبه للمواقيت التى تعلن عنها المحطات الفضائية، هى مواقيت تغيظنى لأنها مواقيت بلادها ولندن، إننى أعرف أن الفارق بين توقيت القاهرة وتوقيت ساعة جرينتش ساعتين

دائما فى الشتاء لكن التوقيت الثانى الذى تضعه المحطات، كثيرا ما يتسبب فى إرباكى. بعض المحطات تضع توقيت بلدها وتوقيت مكة، بعض البلاد تضع توقيت بلدها وتوقيت القدس، ولم يعد لدىّ القدرة العقلية لاستيعاب ذلك كله، لكننى منذ أيام أجهز نفسى للفرجة على هذا الفيلم الذى بدأ الآن. رحت أتابع «بلانش دى بوا» وهى حائرة أمامى، محاصرة بكل هذا العنف الذى يمثله زوج أختها، أو كل هذا الجبن الذى يمثله من تصورت أنه حبيبها، محاصرة بماض لم تسئ فيه إلى أحد، صرت مندهشا من أداء جيسيكا لانج التى سبق أن رأيتها فى أفلام عظيمة حقا لكن يلعب فيها الجنس دورا كبيرا. يسمون جيسيكا لانج فى أميركا إلهة الجنس، قيل لها ذلك مرة فقالت إنها لا تحب أن تكون كذلك لأنه لقب يخيف الرجال، فأين هم الرجال اللذين يستطيعون النوم مع إلهة، واستخدمت كلمة «fuck» بدلا من كلمة «sleep»، حاولت أن أقارن بين أداء «جيسيكا لانج» وأداء «فيفيان لى» فى الفيلم القديم جدا، فلم أتذكر إلا مارلون براندو الذى شارك فيفيان لى، وهو يتحدث غاضبا فى الجو الحار الخانق فى البيت، حاولت أن أعقد مقارنة بين أداء جسيكا لانج وأداء آن مارجريت فى الفيلم الذى جاء بعد فيلم فيفيان لى، فلم أتذكر شيئا إلا اسم آن مارجريت، فكرت فى حسن وقلت لعله يرشدنى إلى طريقة طبية نباتية أتذكر بها كل شىء، ابتسمت لأنى سألت حسن عن ذلك مرة، فقال إنه سهل جدا، وأن الإنسان قريبا سيستطيع بطب النباتات أن يتذكر لحظة ميلاده، وحياته فى رحم أمه قبل الميلاد. قلت لكن ذلك سيكون

صعبا يا حسن، فيكفى الإنسان ما يتذكره، قال إن الحق معى، لكن هكذا الإنسان لا يقنع إلا بالمستحيل، ولا يدرك أبدا أن ذلك طريق للهلاك أيضا، ثم ضحك وقال:

ـ تصور أنت المصريين وهم يتذكرون كل شيء، منذ وجودهم فى الأرحام حتى الآن، لابد ستنفجر رءوسهم.

ضحكنا أكثر واستمر هو يقول:

ـ أجل. ستمشى فى الطريق ثم تجد رجلا قد انفجر رأسه أمامك فجأة، أو جوارك، وليس بالضرورة فى الطريق، يمكن فى الأتوبيس، أو فى العمل، أو حتى فى السينما، وربما أثناء النوم، فلا شك أن ذكريات المصريين أكثرها مؤلم، أكثرها كوابيس، إذا أضفت إليها ذكريات الأرحام فستكون الكارثة الحقيقية، لأنه ببساطة لم يكن فى الأرحام إلا ظلام وهلاوس، وفيها لم يكن الجنين يدرك شيئا، فهو لا يسمع إلا حركة واحدة هى حركة الأمعاء، ولا يشعر إلا بجدران وماء، إنه أعمى، لا يرى أعداءه، ومن ثم فالهلاوس مرعبة لأنها ناجمة عن عدو غير مرئى، مباغت فى حركته أو أصواته. الإنسان بصراحة حمار، لأنه فى هذا الجانب من الأبحاث بالذات لن يجلب لنفسه إلا المصاعب، خصوصا حين يتذكر كيف كان شيء ما يدخل إليه ويقذفه بماء غير متوقع، وقد يتصور أنه إنما يدخل ليبصق عليه، وكل يوم تقريبا.

كنت أضحك من هذا التداعى لأفكار حسن، هو بدوره كان يضحك ويواصل الحديث قائلا:

ـ سيكتشف الإنسان أن الذى كان يفعل ذلك وهو جنين هو أبوه، تخيل أنت العداوة التى ستنشأ بين الآباء والأبناء، صحيح أن الأبناء عادة ما يكرهون آباءهم ويرجون الخلاص منهم، قتل الأب يا أخى الذى يحرر طاقة الإنسان، «ألست مثقفا وتعرف ذلك؟». «بلى». قلت ضاحكا، واستطردت، «لكن الأبناء عادة لا يقتلون أباءهم، يتركون ذلك للزمن، أو للحوادث، وغالبا للحكومة». ضحكنا بشدة. قال إن الأبناء حين يكتشفون ما فعله الأباء فيهم وهم أجنة، وكيف كانوا يبصقون عليهم كل يوم، لن يتوانوا عن قتل الآباء بأيديهم، هنا ستحل اللعنة الكبرى على البشرية. يا أخى فيما يبدو أننى ساجن.. ورحنا نضحك..

* * *

ها أنذا أبتسم الآن وأنا أتذكر هذا الحديث الذى فاجأنى به حسن، الحقيقة أن حسن كثيرا ما يفاجئنى بأحاديث جانحة من هذا النوع. نظرت حولى وأدركت فراغ البيت، فابنى لم يأت بعد من الخارج، رغم أننا تجاوزنا منتصف الليل بكثير، وقد يبيت عند أحد أصدقائه، ولا أحد هنا يكلمنى أو أكلمه. هذا هو ما يجعل للزواج أهمية حقيقية. ليس الجنس ولا تكوين أسرة ولا إكمال الدين، هو الكلام بالليل ولا شىء آخر. أجل. فهؤلاء الناس الذين أراهم عبر شاشة التليفزيون كل ليلة لا يصلحون لمؤانستى، رغم أنهم من كل جنس ولون، فهم لا يشعرون أبدا بى. هل عرفت جيسيكالانج مثلا إننى كنت أشاهدها منذ قليل، وإننى ذرفت دمعة وأنا أرى زوج أختها يحضر لها

سيارة المستشفى العقلية لتأخذها بلا رجعة. هل عادت ونظرت إلىّ وقالت لا تحزن، فإنما هذا مجرد فيلم، وهم، وأننى سأعود وأمثل أفلاما أخرى، بل إننى مثلت بعد هذا الفيلم كثيرا، وإننى فى الحقيقة ما زلت أعيش بين الناس، ولم أدخل المستشفى العقلية أبدا، . . . لم تقل جيسيكا لانج ذلك، لا هى ولا غيرها ممن أراهم كل ليلة، وأعجب بهم أو أبكى من أجلهم. . لكن أين هى تلك المرأة التى أستطيع أن أتزوجها حقا؟ دنيا التى أعاشرها فى شقتى السرية متزوجة، هى أكثر اللاتى عرفتهن محبة لى، إنها تقريبا تفعل كل شىء، تشبعنى تماما، تتصرف كأجنبية تعرف أنه لا حياء فى الجنس. أجنبية؟ هل قلت أجنبية، يا لها من ذكرى تطل علىّ الآن بعد أكثر من ثلاثين سنة. كيف حقا وآتتنى الجرأة أن أمشى بالمرأة الألمانية فى الشوارع بعد أن ينتصف الليل، وفى كل منعطف، وعلى كل عامود نور نتعانق عناقا عميقا، دون أن نبالى لا بالناس المتأخرين، ولا بالشرطة. أين ذهب هذا الزمن؟ إلى أى جب مسحور سقط؟ رأيت الإسكندرية وهى تغلق ملاهيها واحدا وراء الآخر من أجل إقامة مقاه ومسارح أفراح تمنع فيها كل أشكال المتعة، روحية ومادية، لم يبق للشباب فى الإسكندرية إلا لعب الطاولة. رأيت القاهرة وهم يزيلون مقاعدها على الكورنيش، وفى شارع الجبلاية، حتى لا يجلس عليها المحبون. ورأيتها وقد عادت المقاعد إلى الكورنيش، لكن أيدى مجهولة تخرج بالليل لتضع عليها الشحم والفضلات حتى لا يجلس عليها المحبون بالنهار. وأنا لا أستطيع أن أقابل دنيا إلا بسرعة، أقف ألتقطها من الطريق وأسرع بها

إلى الشقة، التى أخذتها فى أبعد مكان. دنيا تصلح درسا لكل النساء، تعرف أنه لا حياء فى الجنس، لكن من يستطيع إعلان هذا الدرس؟، ليس لأن دنيا متزوجة، لكن لا أحد يستطيع إعلان هذا الدرس! دائما لا تنتهى دهشتى من قدرات دنيا على الإمتاع والاستمتاع، أحيانا أسأل نفسى السؤال الخائب، هل تفعل ذلك مع زوجها؟ ولا أسألها أبدا، لأنها تقول عنه أنه بارد وأنانى وبخيل و«بروطة» رغم أنها أكثر من مرة تقول عنه أنه فكه ويحب الدعابة. سالت نفسى أيضا كيف تقول امرأة عن رجل فكه يحب الدعابة أنه بارد و«بروطة» والمرأة عادة تعجب بالرجل الذى يضحكها. أظن أن فرانسوا ساجان قالت مرة إنها تحب الرجال لأنهم يضحكونها، إذا كانت فرانسوا ساجان قالت ذلك فلابد أن النساء جميعا يشتركن معها فى القول.

ماذا يحدث إذن بين دنيا وزوجها لتصل الأمور بينهما إلى هذا الحد من الفتور؟ يمكن أن يزهد الرجل فى الجنس، يمكن أن تزهد المرأة، مع التقدم فى العمر، مع الانشغال فى الحياه، لكن يمكن كسر هذا الزهد بالقنوات الفضائية الجنسية، بشرائط الفيديو، التى عادة يشاهدها الأزواج من هذا النوع، ثم يلعنونها فى اليوم التالى، بعد أن كانوا قد اشتعلوا فى الليلة الفائتة ربما كان زوجها أكبر منها بكثير، لم تقل لى شيئا عن عمره، ولم أسألها، لا يجب أن أسألها أبدا، دنيا لن تزهد فى الجنس، لا الآن ولا غدا، إنها تعبده، وتزهد فى كل شىء آخر، إنها تقيم طقسها الجنسى معى كأنما تتبتل فى معبد إيروسى، معبد فرعونى إلهه ذكر بشرى ضخم تقيم حوله المحارق والمباخر، معبد بدائى لم تصل

إليه بعد أديان السماء. دنيا حالة وحشية، مفتوحة مسامها كلها على الشهوة، تكاد تشرب عرقى بجلدها، ولديها من فنون الحركة أكثر مما لديها من فنون القول. كل مرة تهتف فى همس «أنا كنت ميتة، أنا كنت ميتة»، تهتف من أعماقها البعيدة جدا، وبهمس تتعذب فيه حروف الكلام!. أعاشرها مرة كل أسبوع، فكيف تموت بسرعة هكذا، ولماذا حقا تخلص لى كل هذا الإخلاص فلا تعاشر شخصا آخر خلال الأسبوع حتى لا تموت؟ لابد أنها تحبنى، هى فعلا تحبنى، أنا على يقين من ذلك. لقد أخطأت مرة وحدثتها عن صديقتها فادية، وكيف أنها جميلة، وأننى متأثر لاضطراب حياتها، وإنها ـ فادية ـ يمكن أن تجد طريقة للتخلص من زوجها الشاذ هذا الذى يباشرها عنوة من الخلف. تستطيع أن تتقدم إلى المحكمة بطلب للطلاق، وطبعا يمكن بسهولة أن تثبت ذلك، أجل، فمن المعروف أن الشواذ يسهل التحقق من شذوذهم بالكشف الطبى. زوجها اللوطى جعلها مثل الشواذ تماما، وسيجد الأطباء فى مؤخرتها ما يؤكد ذلك. كنت أتحدث جادا ومخلصا بينما دنيا تنظر إلىّ فى دهشة. قالت إننى مجنون، وأكدت على ذلك. لماذا يا دنيا؟ قالت فى دهشة أكبر، كيف تذهب امرأة إلى القاضى وتطلب ذلك وفى محكمة علنية؟ صحيح. قلت كيف فاتنى ذلك؟ أشعرتنى بالغباء. سألتها هل عندك حل آخر؟ فهتفت ثائرة، لماذا تهتم بفادية كل هذا الاهتمام؟ انقلب الموقف إذن وظهرت غيرتها، غيرة المرأة المحبة التى لا ترضى إلا بتملك الرجل الذى تحبه. قلت بهدوء، أنت التى حدثتينى عن مأساتها، أنا لم أكن أعرف أى شئ عنها من قبل. قالت تريد أن

تخرج من الموضوع، تخرجنا معا، «طيب، لكن خد بالك»، وكما يحدث فى مثل هذه الحالات، تفتح المرأة الساذجة الطريق لعشيقها وهى تتصور أنها أخافته أو أربكته.

لم أخرج إذن من الموضوع. استطعت أن آخذ موعدا مع فادية، بسهولة شديدة صحبتها إلى الشقة السرية، لكنها كانت عنيدة. قالت إنما جاءت معى لأنها تريد أن تجلس قليلا مع شخص فى سن والدها. لم أرتبك. أنا فى سن والدها فعلا، لم أتضايق، كما يتضايق حسن إذا قال له أحد يا والدى، أو يا حاج، قلت لنفسى إنها تفتقد والدها جدا، فلقد كان كما قالت يحنو عليها، ويأخذها فى حضنه ويربت على ظهرها بحنان ويقبل جبهتها ويجفف دموعها. كنت أفعل ذلك فعلا وهى تحدثنى عنه. كانت قد صارت جالسة على ركبتى، وذراعاها حول عنقى، وأنا أضمها إلى صدرى بالحنان الذى تريده، وأمشى بيدى على شعرها الناعم وعلى ظهرها. لم يبد أنها تأثرت جنسيا، لقد أحست بى كوالدها حقا، خفت على نفسى لحظة أن يتحقق فىّ ذلك، وكانت مؤخرتها طرية فوق ركبتى، صدرها الصغير لدنا على صدرى، شعرها الناعم دافئا تحت يدى، لكن جبهتها كانت باردة وأنا أقبلها قبلات جاهدت أن تكون بريئة! شيئا فشيئا استيقظت فىّ الرغبة، خانتنى الغريزة. أحست هى بشىء يستيقظ تحتها فنهضت بسرعة. احمرّ وجهها واشتعل غضبا. «لأ. هكذا لأ.. حاول أن تضبط نفسك، لقد أضعت كل شىء». كان ارتباكى ليس مما حدث، ولكن لأنى لم أعد أعرف أين أنا بالضبط، فى منطقة العطف الأبوى أم فى

التـهـاب العـشق. كنت بدأت أغـيب عن المكان ثم رأيت حـولى كل شىء، كأنما سقطت الحجرة حولى فجأة لا أعرف من أين. لحظة دقيقة جدا أدركت بعدها مكانى وزمانى، تذكرت ما تريد، وما أريد، قلت إنت محتاجة إلى أب وأنا فى حاجة إلى أنثى، ما رأيك أن نقسم الوقت بين الجنة والنار، جنة الأبوة انتهت منذ اليوم الذى تفـجرت فيـه فى جسمك رغبـات الأنثى، ذلك شىء لا حيلة لك فيـه. هزت رأسـهـا نافية، الحقيـقة اشمأزت من الكلام. قمت وحاولت احتـضانها من الخلف برفق، تركت يدى تعبث بثـديهـا، تريد أن أفـعل لهـا كل شىء دون أن تراه. لا تريد أن تحمل ذنبا، ليكن، فى النهاية ستستدير. قلت لنفسى، ونزلت بيدى إلى بطنها وفخذيها، فصدرت منها بعض آنات خـافـتـة، ثم جفلت بقـوة، لم يكن ممكنا التـراجع. جذبتـهـا بعنف، حملتها إلى الغرفة الأخرى ووضعتها فوق السرير ملقيا نفسى فوقها، لكنها قاومت بشدة لا تتناسب أبدا مع حجمها الصغير. فى الحقيقة أرهقتنى، ولعنت التدخين الذى تسبب فى كرشة النفس التى لم تعطنى الفـرصة للاستـمـرار، لم أكن أدرى أن الأمـر يتعلق بشرايين القلب. قلت لنفـسى مكرها، كـمـا حـدث لى كـثـيـرا من قبل فى مـثل هذه الحالات، لا أحب النوم مع امرأة تقاوم. ربما يفضل غـيرى هذا النوع من النساء، ويسعى لهزيمتهن، ويشعر بعد ذلك بالانتصار، لكننى فى الحقيقة لا أحب هذه الطريقة، وكثيرا ما خسرت نساء لهذا السبب، عـدم الصبـر على تمنعهن الذى يطول أحيـانا، لم أفـهم أو أقـتنع أبدا بالحكمة القائلة، يتمنعن وهن الراغبات، وأتصور أن هذا سبب تأخر

الحركة النسائية فى كل الدنيا، لأنهن إذا أردن أن يتساوين مع الرجال فى الحقوق فعليهن أن لا يتمنعن على الرجال، فالرجال لا يتمنعون عليهن ! كنت أندهش دائما من أن هذه الحكمة الشائعة راسخة حقا فى النساء، أندهش من عدم وجود امرأة تقتحم الرجال كما يقتحم الرجال النساء، حتى وجدت دنيا.

* * *

فى ندوة سياسية عن حقوق الإنسان، وقفت امرأة متوسطة العمر وصرخت فى السياسى المعارض الكبير الذى أقيمت الندوة من أجله وقالت «لماذا تقيمون هذه الندوات الآن فى كل مكان، ولا يوجد فى بلادنا أساسا إنسان حتى نبحث له عن حقوق ! يا أستاذ يا محترم أنا زوجى بيصبحنى بعلقة ويمسينى بعلقة، وأنا دكتورة ولى وضعى فى المجتمع، وأذهب إلى المستشفى فأجد الموت أسرع إلى المرضى من العلاج، وبالليل تتحول المستشفى إلى مسخرة، الأطباء ينامون والممرضات والتومرجية وأشياء أخرى فظيعة، وكل حين تجد البوليس يرسل إلينا مريضا مقيدا بالحديد، مريضا فى كلبش، شفت حضرتك مريضا فى كلبش إلا فى بلادنا، وأختى المحامية تحكى لى أهوالا عما يحدث فى المحاكم. تصور حضرتك فى طرقة كل محكمة تلاقى واحد واقف، حيوان ابن كلب، حيوان ابن جزمة - وصارت تصرخ جدا - يقف فى يده سلسلة حديد يضرب بها المتهمين الذين يسحبهم عسكرى فى سلسلة ثانية من عربة الترحيلات التى تقف فى الشارع حتى يدخل بهم قاعة المحكمة ليضعهم كالحيوانات فى القفص. فى القفص فقط